**Alhijjrahbonds تأملات في معاني الهجرة**



**تأملات في معاني الهجرة**

[مسعود صبري](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695079880&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#***1)

|  |
| --- |
|  |

الحديث عن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة ليس بالذي يُكتفى فيه بمقالة سريعة، وما أحسب أن واحدا من المفكرين -مهما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب- قادر على أن يحيط بأحداث السيرة حكما تستفاد، وعبرا تؤخذ؛ فسيرته -صلى الله عليه وسلم- لا تَخْلَق من كثرة الرد؛ فهي كجزء من السنة النبوية، قسيم القرآن في وحيه، وهذا ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه". أو ما عبر عنه الشافعي رحمه الله: السنة وحي.

الهجرة سنة الأنبياء

ولا شك أن الهجرة هي إحدى وسائل الوقاية من اضطهاد الكفر للإيمان في بداية دعوته، فلم تكن الهجرة النبوية خاصة بسيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم؛ فقد هاجر قبله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين وقف قومه ضده وعادوه، بل كان أقرب الناس إليه من يعاديه، وهو أبوه، أو عمه كما يذكر بعض المفسرين. وهذا ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد عاداه أقرب الناس إليه عمه أبو لهب، يدور معه في الأسواق، فيبشر الرسول بدعوته، ويقول للناس: "قولوا: لا إله إلا الله"، فيقول أبو لهب معقبا على كلامه: "لا تصدقوه إنه كذاب"، فيسأل من لا يعرف: من هذا؟ فيقول أهل مكة: هذا محمد يدعو إلى دين جديد، وهذا عمه أبو لهب يكذبه.

إبراهيم قد هاجر

هذا الموقف كان شبيها بما حدث لإبراهيم عليه السلام من أبيه -أو عمه-، وقد حكى القرآن الكريم ذلك حين قال: {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا \* إِذْ قَال لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ العِلمِ مَا لمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ للشَّيْطَانِ وَليًّا \* قَال أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لئِن لمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَليًّا \* قَال سَلامٌ عَليْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا \* وَأَعْتَزِلكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا}.

الهجرة إلى الله وليست إلى مكان

بل صرح القرآن الكريم بهجرة إبراهيم حين حكى عنه قوله: {وَقال إني مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}.

ويعطينا إبراهيم عليه السلام في هذا معنى غاية في الأهمية؛ أن الهجرة لم تكن إلى مكان؛ فليس المكان مقصودا في ذاته، وإنما الهجرة تكون إلى الله تعالى؛ فتكون الهجرة إلى المدينة لنبينا هي تعريف بالمكان، ولكنها كانت هجرة الرسول إلى ربه في المدينة المنورة.

وقد هاجر مع إبراهيم عليه السلام ابن أخيه نبي الله لوط، وبعض المفسرين يرى أن قوله تعالى: {وَقال إني مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} هو من قول لوط، وليس من قول إبراهيم، ويستندون في ذلك إلى ما قبلها {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ}، وإن كان الكل قد هاجر، والهجرة تحققت لإبراهيم عليه السلام، كما تحققت للوط عليه السلام.

وموسى قد هاجر

وقد هاجر سيدنا موسى -عليه السلام- من بين أهله إلى مدين، بعد اضطهاد آل فرعون له، وخشية قتله، وهذا ما حدث في الهجرة أيضا حين تآمر المشركون على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتناقشوا في دار الندوة، واتفقوا على قتله، وفي هذا يحكي القرآن الكريم: {وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ}.

والهجرة خشية الاضطهاد مع موسى عليه السلام، حكاها القرآن حين قال: {وجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

وإن كان موسى عليه السلام قد خرج مهاجرا خائفا، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم هاجر دون خوف، وإن أخذ الاحتياط بعد علمه بمحاولة اغتياله وقتله، بل إنه لم يهاجر حتى هاجر جُل أصحابه، ثم رتب هجرته، وخطط لها حسب ما ذكرت كتب السيرة.

الهجرة ومعانيها المتجددة

وهذه الهجرة التي يفر بها المسلم بدينه خوفا عليه، والتي من أجلها يترك ماله ووطنه وتجارته معنى متجدد على مر العصور والدهور، ويمكن الاستئناس في ذلك بقوله عز وجل: {قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}.

ولعل هذا المعنى هو الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"، ولو في ذلك هجرة المكان.

ومن القديم حكى النبي صلى الله عليه وسلم لنا قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا، واستفتى أعبد أهل الأرض، فجهل، وأضله بإفتائه ألا توبة له، فقتله، وأكمل به المائة، ثم استفتى أعلم أهل الأرض، فدله على الهجرة سبيلا للتوبة، والحفاظ على الدين فهاجر، ثم مات في الطريق؛ فكان ما كان من خصام الملائكة حوله، وأخذ ملائكة الرحمة له؛ ليكون من عباد الله المرحومين، بعد أن سلك طريق الهجرة.

وحين تكون الهجرة لله فرارا بالدين، تتصاغر أمامها شهوات النفس كلها، من المال والجاه والأرض وغير ذلك، وهذا ما حدث مع صهيب الرومي -رضي الله عنه-، فقد أراد الهجرة للنبي -صلى الله عليه وسلم- فاعترضه أهل مكة، وقد كان صهيب عبدا، فكاتب سيده، وأصبح حرًّا، ثم أصبح تاجرا، فساومه أهل مكة على غناه وتجارته، فترك لهم دنياه، لينال رضا الله تعالى، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرح به قائلا: "ربح البيع أبا يحيى".

بئست الهجرة!

ولكن يلاحظ أن عددًا غير قليل من شبابنا يهاجرون من أوطانهم، ولو كان في هذا بيع لدينهم فتتلاشى عقولهم وقلوبهم وحياتهم، ويذوبون في المجتمعات التي هاجروا إليها، ولم يأخذوا منها إلا الانسلاخ عن العقيدة والدين، مع ما قد يكون فيها من فوائد كثيرة، ومصالح عديدة.

وأقصد من هذا أنه يجب ألا تكون الهجرة مقصودة في ذاتها، بل تكون سبيلا لشيء نافع، ولعل الضابط الذي وضعه الفقهاء في هذا هو الحفاظ على الدين؛ فمن رأى من نفسه القدرة على الحفاظ على دينه، والنيل من متاع الدنيا فلا بأس بهذا، وإن كان قادرا على عرض الإسلام بصورة جيدة، فقد جمع الله تعالى له الحسنيين، أو كما قال القائل فيمن يجمع الله تعالى له ثواب الدنيا والآخرة: نصنع كأم موسى؛ ترضع ولدها، وتأخذ أجرها.

وإن كانت الهجرة ترتبط بالانتقال من مكان إلى مكان، فهناك هجرة الحال، وهي أن ينتقل الإنسان من حال إلى حال، ومن باب أولى أن يكون المقصود بها الانتقال من حالة إلى الأحسن، أو ما يعبر عنه في الدعاء: "اللهم غيّر حالنا إلى أحسن حال".

وفي الهجرة تجديد

وهذه الهجرة باقية إلى يوم القيامة، وكلنا في حاجة إليها، وإن كانت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني ينعق بها الآن كل ناعق، ممن صحت نيته وسريرته، أو كانت ستارا لمغنم شخصي، سواء أكانت من قِبل أفراد، أو من قبل دول، فإنه يجب تجديد الحالة الدينية، وهي في طياتها تحمل معنى الهجرة؛ ذلك لأن الإنسان بطبعه متغير، يزيد إيمانه وينقص، يسيء ويحسن، يصيب ويخطئ، وهذه طبيعة البشر "لو لم تذنبوا لأتى الله بأقوام غيركم، يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم"، وليس الحديث دعوة للذنب، فما أكثر ذنوب العباد، ولكن هي دعوة للاستغفار، ولعل هجرة الحال، وتجديد الحالة الدينية مطلوب على دوام اليوم، فقد أخبر المعصوم -صلى الله عليه وسلم- عن ربه أنه سبحانه يتنزل كل يوم إلى السماء الدنيا، فينادي: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر الله؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من كذا، هل من كذا... حتى يطلع الفجر.

وكذلك في الحديث: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها".

هجرات مطلوبة

ولعلنا -ونحن في ذكرى الهجرة- نريد أن ننظر إلى أنفسنا، وأن نسطر مساوئنا وما علق في نفوسنا من شوائب؛ فنسعى إلى تصحيحها، وننشد الأصلح لها، وهذا الملمح أحسبه واحدا من أوجه التجديد الديني الذي يجب الانتباه له.

وإن كنا ندعو إلى هجرة الرذائل في الأخلاق والسلوك، فإننا أيضا في حاجة إلى هجرة الرذائل فيما يخص شئون حياتنا عامة، وأن نأخذ من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينفعنا في مسيرتنا؛ فنهجر العشوائية في تسيير أمورنا، ونهجر الجدال الذي لا يراد به حق، ونهجر تضييع الوقت بغير شيء نافع، ونهجر عدم إتقان العمل، وغير ذلك مما يعرفه كل إنسان عن نفسه، وإن اشترك البعض في مساحات معينة، ولكن يبقى التمايز بين بني البشر سمة أساسية.باحث شرعي بكلية دار العلوم وشبكة إسلام أون لاين

الهجرة في ظلال القرآن الكريم

|  |
| --- |
| [مسعود صبري](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173087756292&pagename=Zone-Arabic-Tazkia%2FTZALayout#***1) |

|  |
| --- |
|  |

ذكر القرآن الكريم أحداث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من موطن، منها قوله تعالى: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"، كما ذكرها في قوله تعالى: "إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

ودائما أوثر أن نقرأ الأحداث الواردة في القرآن من القرآن قبل أي شيء، ذلك أن القرآن دائما ما يربط بين الأحداث والأحكام وبين الجانب الإيماني، وشتان بين أن تقرأ مثلا أحكام الزواج أو الطلاق أو البيوع في كتب الفقه وبين أن تقرأها في كتاب الله، وهذا يعني أننا في حاجة إلى قراءة واعية للقرآن الكريم، وأن نأخذ ما قاله بشموليته الكاملة، التي تعبر عن الحدث، وما يحمله أيضا من معاني تربوية تفيد المسلم في علاقته مع الله تعالى، ومع المجتمع، إذ يلحظ الإنسان في القرآن بيان الأمر أو الحكم، والحث على الفعل عن طريق التزكية والإيمان.

محاولة اعتقال الرسول

وفي حديث القرآن عن المؤامرة التي عقدها المشركون في دار الندوة للقضاء على الرسول صلى الله عليه وسلم: " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ "، نلحظ في ختامها طمأنة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فرغم محاولة المشركين اعتقال الرسول صلى الله عليه وسلم "ليثبتوك" أو القضاء عليه "أو يقتلوك"، أو النفي خارج البلد "أو يخرجوك"، وهي وسائل قديمة حديثة، لكن يأتي تثبيت الله لرسوله صلى الله عليه وسلم "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"، ففيها عظة لكل مؤمن بالله تعالى ما دام على الحق أن يثبت عليه، فإن مكر له الخلق، فإن الخالق حاميه من كل شر، وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يربي عليه ابن عباس رضي الله عنهما حين قال له: "ياغلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

الحرس الملائكي في الهجرة

وفي الآية الأخرى: "إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذِْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، نلحظ استشعار النبي صلى الله عليه وسلم لمعية الله سبحانه وتعالى، فرغم خوف أبي بكر من المشركين الذين عبر عنهم بقوله: "يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا"، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، اللــــه ثالثهما، يا أبا بكر، لا تحزن، إن الله معنا"، إن المسلم الذي يسير في طريق الله يجب أن يستشعر بأن الله معه، فينزل هذا على قلبه الطمأنينة والسكينة على قلبه، وهذا ما طمأن الله تعالى به موسى حين خاف الذهاب إلى فرعون، وقال لله: " قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى"، وتعلم موسى الدرس حين خاف بنو إسرائيل من فرعون حين جاء وراءهم بخيله ورجاله، وقال بنو إسرائيل: "إنا لمدركون"، فرد عليهم موسى: "كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ".

وحين يكون المؤمن على حق، فليوقن أن الله تعالى سيحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين، فلله جنود السماوات والأرض، وقد حفظ الله تعالى رسوله بملائكته، لا كما ورد في الروايات الضعيفة من حكاية الحمامتين والعنكبوت، وأصبحت معلما من معالم السيرة، فظاهر القرآن يقول: "وأيده بجنود لم تروها"، وهي الملائكة، فقد حمى الله رسوله بملائكته حين خرج من بيته، وحماه في الغار، فكانت الملائكة تحرس المكان، وتمنع المشركين من الوصول إليه، مع كونهم وصلوا إلى المكان، ومع كون الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بكل الأسباب الممكنة، ولكن كانت الحماية بملائكة الله تعالى، وهو تعليم للمسلمين الذين يأخذون بالأسباب، ويبذلون كل ما في وسعهم، فإن الله تكفل بحمايتهم من كل شر، فقد يكاد للمرء في عمله، لأنه مخلص، أو لأنه يحارب الفساد والحرام، ويتكالب عليه الناس، ويكيدون له،ٍ فعليه بالأخذ بالأسباب، مع الاستعانة بالله تعالى، فإن الله تعالى سيحميه كما حمى رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحماية لجميع المؤمنين

ولا يظن أن حماية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالملائكة خاصة به وحده، فإن من أهم وظائف الملائكة حماية المؤمنين الصادقين، وقد قال تعالى: "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ"، وقد ورد أن المرء إذا قرأ آية الكرسي قبل أن ينام لا يزال عليه حفيظ من الله حتى يستيقظ.

"وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا"، فدائما ما تكون كلمة الباطل واهية، وكلمة الحق ثابتة راسخة، وإن الحق دائما يحمل في طياته أسباب قوته واستمراره، وإن الباطل يحمل في جنباته أسباب انهياره، مهما بدا عظيما، فإنه كغثاء السيل، يهيج في البحر بلا شيء يفعله.

في كل هجرة فتح

ومن العجيب ذلك الارتباط بين الهجرة والفتح، الذي قد نلمحه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا هجرة بعد الفتح"، فيفهم منها أن الهجرة كانت فتحا، وكل هجرة يفعلها المسلم يكون بعدها فتح له من الله سبحانه وتعالى، فالذي يهجر الكسب الحرام، فليبشر بفتح من الله تعالى رزق واسع منه، ومن ترك وظيفة لأنها حرام، فإن الله سيبدله فتحا؛ وظيفة خيرا منها، ومن ترك الزنى المحرم، رزقه الله تعالى الزوجة الصالحة، خيرا مما كان فيه، وهكذا، وذلك لأن الإنسان إن كان يترك الشيء لله، فليس هو بأكرم من الله، فإن الله مبدله خيرا، وقد قال تعالى: "وَمَن يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ".

خلاصة

وفي الهجرة نحن في حاجة أن نوقن بمعية الله تعالى لنا، وأن نوقن أن الملائكة جنود لله، يحمي بها عباده الصالحين على مر العصور والدهور، وأن الهجرة إن كانت تعني الترك، فإن كل ترك لله، سيبدله الله تعالى بخير منه لعباده الصالحين، ومصداق هذا تجارب الصالحين في وظائفهم، وعلاقتهم مع الناس في البيت والشارع والمسجد والجامعة والحقل وفي كل مكان

**باحث في علوم الشريعة، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، والمركز العالمي للوسطية بدولة الكويت**

**أعظم أنواع الهجرة**

**أعظم أنواع الهجرة - هجرة القلوب**

صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، شرع لعباده هجرة القلوب، وهجرة الأبدان، وجعل هاتين الهجرتين باقيتين على مر الزمان، وليكن لنا في سيرة نبيكم صلى الله عليه وسلم خير أسوة، وذلك بترسم خطاه والسير على نهجه والإقتداء به في أقواله وأفعاله وأخلاقه كما أمركم الله بذلك فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} [الأحزاب:21].   
  
في أول شهر المحرم يكثر الناس من التحدث عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم في الخطب والمحاضرات ووسائل الإعلام، ولا يعدو حديثهم في الغالب أن يكون قصصاً تاريخياً يملؤون به الفراغ في أيام معدودات ثم يُترك وينسى دون أن يكون له أثر في النفوس أو قدوة في الأعمال والأخلاق، بل لا يعدو أن يكون ذلك عادة سنوية تتردد على الألسنة دون فقه لمعنى الهجرة وعمل بمدلولها.   
  
إن الهجرة معناها لغةً:  
مفارقة الإنسان غيره ببدنه أو بلسانه أو بقلبه.   
  
ومعناها شرعاً:   
مفارقة بلاد الكفر أو مفارقة الأشرار أو مفارقة الأعمال السيئة والخصال المذمومة.   
  
وهي من ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات:99] أي مهاجر من أرض الكفر إلى الإيمان، وقد هاجر عليه الصلاة والسلام ببعض ذريته إلى الشام حيث البلاد المقدسة والمسجد الأقصى، والبعض الآخر إلى بلاد الحجاز حيث البلد الحرام والبيت العتيق، كما جاء في دعائه لربه: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} [إبراهيم:37].   
  
والهجرة من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم   
حيث أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة لمّا اشتد عليهم الأذى من الكفار في مكة فخرجوا إلى أرض الحبشة مرتين فراراً بدينهم، وبقى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى الله ويلاقي من الناس أشد الأذى، وهو يقول: {رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً} [الإسراء:80]، فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة وأذن لأصحابه بالهجرة إليها، فبادروا إلى ذلك فراراً بدينهم وقد تركوا ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، وقد أثنى الله عليهم ومدحهم ووعدهم جزيل الأجر والثواب، وصارت الهجرة قرينة الجهاد في كتاب الله عز وجل، وصار المهاجرون أفضل الصحابة حيث فرّوا بدينهم وتركوا أعزّ ما يملكون من الديار والأموال والأقارب والعشيرة، وباعوا ذلك لله عز وجل وفي سبيله وابتغاء مرضاته.   
  
وصار ذلك شريعة ثابتة إلى أن تقوم الساعة فقد جاء في الحديث: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس من مغربها»، فكل من لم يستطع إظهار دينه في بلد فإنه يجب عليه أن ينتقل منها إلى بلد يستطيع فيه إظهار دينه.   
  
وقد توعد الله من قدر على الهجرة فلم يهاجر قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً (97) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (98) فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً} [النساء:97-99].   
  
فهذا وعيد شديد لمن ترك الهجرة بدون عذر، وهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، وأنه ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} أي يترك الهجرة {قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ} أي لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، وهذا اعتذار منهم غير صحيح لأنهم كانوا يقدرون على الهجرة فتركوها، ولهذا قالت لهم الملائكة توبيخاً لهم: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا}.   
  
فمن لم يستطع إظهار دينه في بلد وجب عليه الخروج إلى بلد يستطيع فيها ذلك، فإن بلاد الله واسعة ولا تخلو من بلاد صالحة، قال تعالى: {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً} [النساء:100] أي مكاناً يتحصن فيه من أذى الكفار، وسعة في الرزق، ويعوضه الله بها عما ترك في بلده من المال، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل:41-42].   
  
ومن أنواع الهجرة هجر المعاصي من الكفر والشرك والنفاق وسائر الأعمال السيئة والخصال الذميمة والأخلاق الوخيمة، قال تعالى لنبيه: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر:5]، الرجز: الأصنام. وهجرتها: تركها والبراءة منها ومن أهلها.   
  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». أي ترك ما نهى الله عنه من الأعمال والأخلاق والأقوال والمآكل والمشارب المحرمة والنظر المحرم والسماع، كل هذه الأمور يجب هجرها والابتعاد عنها.   
  
ومن أنواع الهجرة هجر العصاة من الكفار والمشركين والمنافقين والفساق وذلك بالإبتعاد عنهم، قال الله تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [المزمل:10] أي: اصبر على ما يقوله من كَذَّبك من سفهاء قومك: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً} [المزمل:10] أي اتركهم تركاً لا عتاب معه.   
  
ومن أعظم أنواع الهجرة هجرة القلوب إلى الله تعالى بإخلاص العباده له في السر والعلانية، حتى لا يقصد المؤمن بقوله وعمله إلا وجه الله، ولا يحب إلا الله ومن يحبه الله، وكذلك الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباعه وتقديم طاعته والعمل بما جاء به.   
  
وبالجملة فهذه الهجرة هجرة إلى الكتاب والسنة من الشركيات والبدع والخرافات والمقالات والمذاهب المخالفة للكتاب والسنة.   
  
فتبين من هذا أن الهجرة أنواع هي:  
  
هجر أمكنة الكفر... وهجر الأشخاص الضالين... وهجر الأعمال والأقوال الباطلة.. وهجر المذاهب والأقوال والآراء المخالفة للكتاب والسنة.   
  
فليس المقصود التحدث عن الهجرة بأسلوب قصصي وسرد تاريخي، أو تقام لمناسبتها طقوس واحتفالات ثم تنسى ولا يكون لها أثر في النفوس أو تأثير في السلوك، فإن كثيراً ممن يتحدثون عن الهجرة على رأس السنة لا يفقهون معناها ولا يعلمون بمقتضاها بل يخالفونها في سلوكهم وأعمالهم؛ فهم يتحدثون عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتركهم أوطان الكفر إلى وطن الإيمان، وهم مقيمون في بلاد الكفر أو يسافرون إليه لقضاء الإجازة أو للنزهة أو لقضاء شهر العسل كما يسمونه بعد الزواج!!   
  
يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عبادة القبور والأضرحة، بل يعبدونها من دون الله كما تعبد الأصنام أو أشد. يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المذاهب الباطلة والآراء المضلة بل يجعلونها مكان الشريعة الإسلامية. يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون المعاصي والأخلاق الرذيلة. يتحدثون عن الهجرة وهم لا يهجرون عادات الكفار وتقاليدهم بل يتشبهون بهم، فأين هي معاني الهجرة وأنواعها من تصرفات هؤلاء؟   
فاتقوا الله عباد الله، واقتبسوا من الهجرة وغيرها من أحداث السيرة النبوية دروساً تنهجونها في حياتكم، ولا يكن تحدثكم عن الهجرة مجرد أقوال على الألسنة أو حبراً على الأوراق.   
  
قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال:74].   
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.  
دار القاسم  
المملكة العربية السعودية\_ص ب 6373 الرياض 11442هاتف: 4092000/ فاكس: 4033150 البريد الالكتروني: [sales@dar-alqassem.com](mailto:sales@dar-alqassem.com) الموقع على الانترنت:  
[www.dar-alqassem.com](http://www.dar-alqassem.com/)

**من دروس الهجرة النبوية**

محمد بن ابراهيم الحمد  
  
  
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:   
لقد بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بدعوة تملأ القلوب نوراً، وتشرف بها العقول رشداً؛ فسابق إلى قبولها رجال عقلاء، ونساء فاضلات، وصبيان لا زالوا على فطرة الله. وبقيت تلك الدعوة على شيء من الخفاء، وكفار قريش لا يلقون لها بالاً؛ فلما صدع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أغاظ المشركين، وحفزهم على مناوأة الدعوة والصد عن سبيلها؛ فوجدوا في أيديهم وسيلة هي أن يفتنوا المؤمنين، ويسومونهم سوء العذاب، حتى يعودوا إلى ظلمات الشرك، وحتى يرهبوا غيرهم ممّن تحدثهم نفوسهم بالدخول في دين القيّمة.   
  
أمّا المسلمون فمنهم من كانت له قوة من نحو عشيرة، أو حلفاء يكفون عنه كل يد تمتد إليه بأذى، ومنهم المستضعفون، وهؤلاء هم الذين وصلت إليهم أيدي المشركين، وبلغوا في تعذيبهم كل مبلغ.   
  
ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقاسيه أصحابه من البلاء، وليس في استطاعته حينئذ حمايتهم، أذن لهم في الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ثم لحق بهم في المدينة.   
  
والناظر في الهجرة النبوية يلحظ فيها حكماً باهرة، ويستفيد دروساً عظيمة، ويستخلص فوائد جمة يفيد منها الأفراد، وتفيد منها الأمة بعامة. فمن ذلك على سبيل الإجمال ما يلي:   
  
1 - ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:  
ويتجلى ذلك من خلال استبقاء النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وأبي بكر رضي الله عنهما معه؛ حيث لم يهاجرا إلى المدينة مع المسلمين، فعليّ رضي الله عنه بات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه صحبه في الرحلة.   
  
ويتجلى كذلك في استعانته بعبد الله بن أريقط الليثي وكان خبيراً ماهراً بالطريق.   
  
ويتجلى كذلك في كتم أسرار مسيره إلاّ من لهم صلة ماسّة، ومع ذلك فلم يتوسع في إطلاعهم إلاّ بقدر العمل المنوط بهم، ومع أخذه بتلك الأسباب وغيرها لم يكن ملتفتاً إليها بل كان قلبه مطوياً على التوكل على الله عز وجل.   
  
2 - ضرورة الإخلاص والسلامة من الأغراض الشخصية:  
فما كان عليه الصلاة والسلام خاملاً، فيطلب بهذه الدعوة نباهة شأن، وما كان مقلاً حريصاً على بسطة العيش؛ فيبغي بهذه الدعوة ثراء؛ فإنّ عيشه يوم كان الذهب يصبّ في مسجده ركاماً كعيشه يوم يلاقي في سبيل الدعوة أذىً كثيراً.   
  
3 - الإعتدال حال السراء والضراء:  
فيوم خرج عليه الصلاة والسلام من مكة مكرهاً لم يخنع، ولم يذل، ولم يفقد ثقته بربه، ولما فتح الله عليه ما فتح وأقر عينه بعز الإسلام وظهور المسلمين لم يطش زهواً، ولم يتعاظم تيهاً؛ فعيشته يوم أخرج من مكة كارهاً كعيشته يوم دخلها فاتحاً ظافراً، وعيشته يوم كان في مكة يلاقي الأذى من سفهاء الأحلام كعيشته يوم أطلت رايته البلاد العربية، وأطلت على ممالك قيصر ناحية تبوك.   
  
4 - اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين:  
فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أنّ الدعوة إلى زوال واضمحلال.   
  
ولكن الهجرة في حقيقتها تعطي درساً واضحاً في أن العاقبة للتقوى وللمتقين. فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلّم بسيرته المجاهد في سبيل الله الحق أن يثبت في وجه أشياع الباطل، ولا يهن في دفاعهم وتقويم عوجهم، ولا يهوله أن تقبل الأيام عليهم، فيشتد بأسهم، ويجلبوا بخيلهم ورجالهم؛ فقد يكون للباطل جولة، ولأشياعه صولة، أمّا العاقبة فإنّما هي للذين صبروا والذين هم مصلحون.   
  
5 - ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة:  
  
ذلك في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه لمّا كان في الغار.   
  
وذلك لما قال أبو بكر رضي الله عنه: "والله يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى موقع قدمه لأبصرنا".   
  
فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم مطمئناً له: «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما».   
  
فهذا مثل من أمثلة الصدق والثبات، والثقة بالله، والإتكال عليه عند الشدائد، واليقين بأنّ الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات الحرجة.   
  
هذه حال أهل الإيمان، بخلاف أهل الكذب والنفاق؛ فهم سرعان ما يتهاونون عند المخاوف وينهارون عند الشدائد، ثم لا نجد لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً.   
  
6 - أنّ من حفظ الله حفظه الله:  
  
ويؤخذ هذا المعنى من حال النبي صلى الله عليه وسلم لما ائتمر به زعماء قريش ليعتقلوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه، فأنجاه الله منهم بعد أن حثا في وجوههم التراب، وخرج من بينهم سليماً معافى.   
  
وهذه سنة ماضية، فمن حفظ الله حفظه الله، وأعظم ما يحفظ به أن يحفظ في دينه، وهذا الحفظ شامل لحفظ البدن، وليس بالضرورة أن يعصم الإنسان؛ فلا يخلص إليه البتة؛ فقد يصاب لترفع درجاته، وتقال عثراته، ولكن الشأن كل الشأن في حفظ الدين والدعوة.   
  
7 - أنّ النصر مع الصبر:  
  
فقد كان هيناً على الله عز وجل أن يصرف الأذى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة، ولكنها سنة الإبتلاء يؤخذ بها النبي صلى الله عليه وسلم الأكرم؛ ليستبين صبره، ويعظم عند الله أجره، وليعلم دعاة الإصلاح كيف يقتحمون الشدائد، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً كان أم كبيراً.   
  
8 - الحاجة إلى الحلم، وملاقاة الإساءة بالإحسان:  
  
فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى في مكة قبل الهجرة من الطغاة والطغام أذىً كثيراً، فيضرب عنها صفحاً أو عفواً، ولما عاد إلى مكة فاتحاً ظافراً عفا وصفح عمن أذاه.   
  
9 - إستبانة أثر الإيمان:  
  
حيث رفع المسلمون رؤوسهم به، وصبروا على ما واجهوه من الشدائد، فصارت مظاهر أولئك الطغاة حقيرة في نفوسهم.   
  
10 - إنتشار الإسلام وقوته:  
  
وهذه من فوائد الهجرة، فلقد كان الإسلام بمكة مغموراً بشخب الباطل، وكان أهل الحق في بلاء شديد؛ فجاءت الهجرة ورفعت صوت الحق على صخب الباطل، وخلصت أهل الحق من ذلك الجائر، وأورثتهم حياة عزيزة ومقاماً كريماً.   
  
11 - أنّ من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه:  
فلما ترك المهاجرون ديارهم، وأهليهم، وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم، لما تركوا ذلك كله لله، أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا، وملّكهم شرقها وغربها.   
  
12 - قيام الحكومة الإسلامية والمجتمع المسلم.  
  
13 - إجتماع كلمة العرب وارتفاع شأنهم.  
  
14 - التنبيه على فضل المهاجرين والأنصار.  
  
15 - ظهور مزية المدينة:  
فالمدينة لم تكن معروفة قبل الإسلام بشيء من الفضل على غيرها من البلاد، وإنّما أحرزت فضلها بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها، وبهجرة الوحي إلى ربوعها حتى أكمل الله الدين، وأتم النعمة، وبهذا ظهرت مزايا المدينة، وأفردت المصنفات لذكر فضائلها ومزاياها.   
  
16 - سلامة التربية النبوية:  
فقد دلّت الهجرة على ذلك؛ فقد صار الصحابة مؤهلين للاستخلاف، وتحكيم شرع الله، والقيام بأمره، والجهاد في سبيله.   
  
17 - التنبيه على عظم دور المسجد في الأمة:  
ويتجلى ذلك في أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة، حيث بنى المسجد؛ لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المسلم برب العالمين، وليكون منطلقاً لجيوش العلم، والدعوة والجهاد.   
  
18 - التنبيه على عظم دور المرأة:  
ويتجلى ذلك من خلال الدور الذي قامت به عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما حيث كانتا نعم الناصر والمعين في أمر الهجرة؛ فلم يخذلا أباهما أبا بكر رضي الله عنه مع علمهما بخطر المغامرة، ولم يفشيا سرّ الرحلة لأحد، ولم يتوانيا في تجهيز الراحلة تجهيزاً كاملاً، إلى غير ذلك ممّا قامتا به.   
  
19 - عظم دور الشباب في نصرة الحق:  
ويتجلى ذلك في الدور الذي قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة.   
  
ويتجلى من خلال ما قام به عبدالله بن أبي بكر؛ حيث كان يستمع أخبار قريش، ويزود بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه.   
  
20 - حصول الأخوة وذوبان العصبيات.  
هذه بعض الدروس والفوائد من الهجرة في سبيل الإجمال.   
  
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دار الوطن

**رحلة مع التأريخ الهجري**

محمد القاسم [\*\*](http://www.islamonline.net/arabic/NewHijriYear/Calendar/03.shtml#1) 2005/02/06

لم يعتمد العرب قبل الإسلام تقويمًا خاصًا بهم على الأرجح رغم اعتمادهم السنة القمرية وتقسيمها إلى اثني عشر شهرًا، وتسميتها بأسماء مختلفة كما بالجدول التالي:

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **الأشهر الإسلامية** | **الاسم القديم - برواية المسعودي** | **شهور العرب الشمسية** | **الأشهر السبئية الحميرية** | **الأشهر العربية الجاهلية- برواية البيروني** | **الأشهر الثمودية** |
| **محرم** | **ناتق** | **ربعي** | **ذو أبهي** | **المؤتمر** | **موجب** |
| **صفر** | **ثقيل** | **دفئي** | **ذو دنم** | **ناجر** | **موجر** |
| **ربيع الأول** | **طليق** | **ناتق** | **ذو دثأ** | **خوان** | **مورد** |
| **ربيع الآخر** | **ناجر** | **ناجر** | **ذو حجتان** | **صوان** | **ملزم** |
| **جمادى الأولى** | **سماح** | **آجر** | **ذو حضر** | **حنتم** | **مصدر** |
| **جمادى الآخرة** | **أمنح** | **بخباخ** | **ذو خرف** | **زبار** | **هوبر** |
| **رجب** | **أحلك** | **خرفي** | **ذو مخظوم** | **الأصم** | **هوبل** |
| **شعبان** | **كسع** | **وسمي** | **نجوة** | **عادل** | **موهاء** |
| **رمضان** | **زاهر** | **برك** | **ذو فلسم** | **نافق** | **ديمر** |
| **شوال** | **برط** | **شيبان** | **ذو فرع** | **واغل** | **دابر** |
| **ذو القعدة** | **حرف** | **ملحان** | **ذو سلأم** | **هواع** | **حيفل** |
| **ذو الحجة** | **نعس** | **رنة** | **ذو ثور** | **برك** | **مسبل** |

 وإنما اعتمدوا في تأريخهم لأحداث حياتهم على حوادث تاريخية مشهورة، مثل: عام الفيل وحرب الفجار وإعادة بناء الكعبة... وربما يرجع السبب في ذلك إلى الطبيعة العربية القديمة حيث الترحال وعدم الاستقرار وكثرة الحروب والمنازعات بين القبائل المختلفة، وعدم اجتماعهم على حادثة بعينها تكون بداية تأريخ لهم.

|  |
| --- |
|  |

ومع ذلك فقد اتفقت القبائل العربية على احترام أشهر بعينها، أطلقوا عليها الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، حرموا فيها الاقتتال والغارات، ورغم ذلك لم تسلم من التحايل عليها، حيث لجئوا قبل الإسلام إلى نظام النسيء الذي يعطيهم الحق في تأخير أو تسبيق هذه الأشهر الحرم، واستمرت هذه العادة حتى جاء الإسلام وحرمها بقوله تعالى: "إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله..." (التوبة: 37).

وبعد مجيء الإسلام استمر العرب والمسلمون فترة من الزمن على ما كانوا عليه من قبل، يؤرخون بالأحداث الهامة، واستمر ذلك حتى بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، حيث لم تُعطَ السنوات تواريخ رقمية تدل عليها، وإنما أعطيت أسماء تدل على أشهر الحوادث التي وقعت بها، فالسنوات العشر التالية للهجرة وحتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخذت الأسماء التالية:

1 - السنة الأولى: عرفت بـ"الإذن".

2 - السنة الثانية: عرفت بـ"الأمر".

3 - السنة الثالثة: عرفت بـ"التمحيص".

4 - السنة الرابعة: عرفت بـ"الترفئة".

5 - السنة الخامسة: عرفت بـ"الزلزال".

6 - السنة السادسة: عرفت بـ"الاستئناس".

7 - السنة السابعة: عرفت بـ"الاستغلاب".

8 - السنة الثامنة: عرفت بـ"الاستواء".

9 - السنة التاسعة: عرفت بـ"البراءة".

10- السنة العاشرة: عرفت بـ"الوداع".

واستمر الوضع على هذه الصورة حتى تاريخ خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي ارتأى حاجة الدول الإسلامية المتسعة الأطراف إلى تقويم خاص بها، وبعد مشاورات ومداولات مع وجوه الصحابة اتفقت الكلمة على أن يتخذ من هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة مبدأ للتقويم؛ وذلك لأن الهجرة فرقت بين الحق والباطل، وكانت بداية حقيقية للدولة الإسلامية، وقد اتفق على أن يتخذ أول شهر محرم من السنة التي هاجر فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبدأ للتأريخ الإسلامي؛ لأنه من الأشهر الحرم، وأول الشهور في العد، ومنصرف الناس في الحج. علمًا بأن الهجرة لم تكن في هذا اليوم، وإنما سبقته بنحو 67 يومًا؛ حيث بدأت في أواخر أيام شهر صفر، ووصل النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة في 12 من ربيع الأول.

وتلقت الأمة هذه الخطوة الحضارية بالمباركة والقبول، حيث أعطت كينونة مستقلة للمجتمع المسلم الناشئ، وكانت بمثابة وعاء لحضارة جديدة ستملأ العالم، ومنذ هذه اللحظة بدأ التأريخ الإسلامي يأخذ طريقه إلى العالمية ويسير في ركاب الحضارة الإسلامية، وظل الوضع على هذه الحال قرونًا عديدة حتى تبدلت الأحوال، ودب الوهن والخور في نفوس المسلمين، وبدأت حركة الاستعمار الشرسة تتجه إلى العالم العربي والإسلامي، مستغلة ضعف الخلافة وانقسام المسلمين وتخلفهم.

وحرص الاستعمار منذ الوهلة الأولى على أن يمحو ذاكرة الأمة ويقطع الصلة بينها وبين تاريخها وحضارتها؛ لذلك وجه سهامه أول ما وجه إلى التأريخ الإسلامي، وحاول بشتى الطرق أن يحل التأريخ الميلادي محله أو على الأقل أن يؤرخ للأحداث بالتأريخين معًا.. فطُبق التأريخ الميلادي الجريجوري في سوريا ولبنان والأردن والعراق مع الانتداب الإنجليزي والفرنسي عليها، وطُبق في مصر سنة (1288 هـ = 1872م) في ظل حملة التغريب وفقدان الهوية التي عاشتها مصر في هذه المرحلة، واكتملت آخر فصول المأساة مع مجيء مصطفى كمال أتاتورك الذي أصدر قرارًا بإلغاء التأريخ الهجري واستبدال التاريخ الميلادي به سنة (1344 هـ = 1926م).

**\*\* محرر صفحة حدث في العام الهجري**

**عاشوراء.. وصناعة الكراهية وتجديد الأحقاد .. إلى متى**

د. نايف بن أحمد الحمد

[**صخرة الخلاص**](https://w8.info.tm/dmirror/http/alsaha.fares.net/sahat?224@2.c7vwjBZDyJV.1@1dcdfc9e@.3baa9fe7) **17-1-2008 04:44**

**كربلاء ..قصص وحكايات كثيرة أنتجها الخيال الشعبي الشيعي، بعضها القليل يستند لحقائق، وبعضها الآخر يستند للأباطيل والأكاذيب والخرافات، لكن الجميع هدفه واحد، والغرض منه واحد؛ وهو استنزاف عاطفة الشعور الجمعي، وتوظيفه في أجندة تخدم أيديولوجية خاصة، أجندة "صنَّاع تراجيدية كربلاء" الذين يهدفون في كل سنة إلى ترسيخ مبدأ الانتقام في الذهنيَّة الشيعية، وتعميق هوة التشرذم، وتجديد الأحقاد، وصناعة الكراهية. إن هذه الآلام الحقيقية أو "المفبركة" ما هي إلا "بروبيغندا" تغذي الضمير الجماعي نحو هدف ُموَاحَد وُموحِـد!**

**إن هذه الآلام؛ كآلام الحسين -رضي الله عنه- ليست إلا حلقة في سلسلة طويلة تهدف إلى توظيف الأحداث أو المخيلة؛ لاستدرار عواطف الشعوب الطيبة، التي تكره الظلم، وتستنكف العدوان، لتربيها على صناعة ظلم جديد وعدوان آخر!**

**لم يكن الجوهر الحقيقي في مسيرات "اللطم" أو "التطبير" أو "العزاء" أو "السواد" هو صناعة البطل الذي تبلور في المخيلة الشعبية وكأنه هو المخلص أو الفادي أو المضحي، بل الجوهر الحقيقي لتلك المسيرات هو تكريس منظم، ومدروس بعناية لصناعة "العدو" أو "الخصم" أو "الآخر" أو "الناصبي" الظالم الشرير والخائن اللعين، كي يكتمل السيناريو، وُتكتب المسرحية بدقة، فتلتهب مشاعر الشيعة حزناً على "البطل الضحية" والذي ضحى بنفسه بالاختيار لأجلهم، لأجل شيعة الحسين، الذي تزعم روايات "صناع هولوكوست كربلاء" أنه وعد بالجنة كل من بكى عليه، وتألم لأجله، أو دعا بأن يكون من الجنود الذين ينتقمون من "الآخر" تحت راية المنتقم الدموي "المهدي" الذي سيحيي قتلة الحسين وسيقتل العرب وسيصلب الصحابة وأبناء العرب!**

**لقد أخذت هذه الأساطير والقصص والرؤى تغذي العقل الشيعي بكراهية قاتل الحسين -رضي الله عنه-وظل الوجدان الشيعي يتغذى بالانتقام والكراهية كلما مر به طيف صور الحسين وهو صريع في أرض كربلاء مقطوع الرأس، قتيل الأبناء!**

**إن ما نشاهده هذه الأيام أقصد أيام "آلام عاشوراء" يؤكد ما ذكرناه آنفاً، من وجود صناعة للآلام المزيفة على حساب الآلام الحقيقية، إن صنّـاع "آلام عاشوراء" الكبار ليس هدفهم الأساس تكفير كبيرة خيانة الحسين رضي الله عنه، أو الحزن عليه، بل الأمر له وجه آخر مخفيّ أو معلن حسب الظروف الزمنية والمكانية!**

**أن هدف اللاعبين الكبار في صناعة "آلام عاشوراء" له وجه آخر أسود ومخيف، فكما كان هؤلاء هم من دبر مؤامرة الحسين الأولى، فهم أيضاً من يدبر المؤامرة في كل مرة، ويقتلون الحسين في كل سنة تحت اسم "آلام عاشوراء" !**

**فهؤلاء الصنّـاع لهم هدف استراتيجي يتمثل في استغلال هذه الآلام لأهداف أخرى غير المعلنة، ويدل على ذلك النتائج التي تظهر لنا كل سنة من وراء أيام محرم وخاصة عاشوراء، فهؤلاء لهم أجندة خطيرة وهي:**

**تغذية الكراهية والحقد والبغضاء بين الأمة الإسلامية باسم الحسين..**

**فبالأمس قتلوا الحسين باسم الحسين..**

**واليوم يقتلون الأمة باسم الحسين..!**

**وهؤلاء لأن غايتهم غير شرعية، فوسائلهم أيضا غير شرعية، فلا مانع بأن يستفاد من تراث آلام المسيحيين، ولا مانع من أخذ كل شيء يمكن أن يستدر عواطف عوام الشيعة، لتحقيق المكسب المالي على المستوى الشخصي، وتحقيق العداوة والبغضاء على المستوى العام للأمة الإسلامية.**

**ومن يتأمل تاريخ هذه المسيرات عبر التاريخ الإسلامي، يجد أنها أهم عامل من عوامل ضرب الوحدة الإسلامية، بل عامل هدم الوحدة والأخوة الإسلامية، وعامل محرك للبغضاء والتشاحن، وتغذية الكراهية والحقد بين المسلمين.**

**فما كان يحصل بين السنة والشيعة عام 338هـ في بغداد، وعام: 406،408، 421،422،425،439،443، 444، 447،482، 510.. إلخ لأكبر دليل على أن هذه المسيرات التي تلقب بالحسينيات أو العزاء أو نحوه ليست إلا مسماراً في نعش وحدة الأمة!**

**ويكفي أن يستمع المسلم أو يشاهد فعاليات هذه المسيرات..**

**فخيار هذه الأمة يلعنون..**

**والصحابة على ألسنة "الرواديد" يكفرون..**

**وأعراض أمهات المؤمنين تنتهك وتباح لكل رخيص..**

**ونبرة الطائفية تعلو.. ولغة السيف والدم والانتقام هي الأقوى..**

**ولغة التهديد والوعيد تحتد وتبرز..**

**وكل ذلك في مسيرات سوداء صارخة منتقمة !**

**ومن تأمل حال المسيرات والعزاء بشكل دقيق، أي خالط هذه المسيرات يكتشف أمراً محيراً هو : أنه ليس في هذه المآتم أي شيء يدل على وجود مأتم غير اللباس الأسود!**

**فاللباس بشكل عام أنيق وجميل، وهناك تنافس على الأزياء كل سنة، للفت الأنظار ونظرات الإعجاب من الشباب والفتيات!**

**فبناطيل "الجنز" الجديدة في كل مكان، و"التيشيرتات" الأنيقة تزيّن الشباب، والأجسام المتناسقة والعضلات المفتولة تفتن فتيات المآتم، بل إن الترقيم والمعاكسات ينشط بشكل غريب في مآتم الحسين!!!**

**ومن أعجب الأمور أنه في عاشوراء يوم قتل الحسين وأهل بيته عطشاً وجوعاً وحرقاً، وبينما أهل السنة يصومون هذا اليوم، يقوم الشيعة بتوزيع الحلوى (!!!) وإقامة أطيب أنواع الموائد للطعام والشراب!!!**

**فالمحموس، والهريسة، والموش، والشراب، والسنبوسة.. إلخ على قدم وساق يتجمع عليها الشيعة الحزينين على مقتل الحسين !!!**

**ومع هذه الآناقة والشياكة، والمطاعم والمشارب، واجتماع الأهل والأحباب، تنظم المسيرات الحسينية في أيام المآتم العاشوريّة حفلات أناشيد!!**

**وفي كل مسيرة يتنافس الجميع في جلب أفضل (رادود حسيني) كي يطرب المجتمعين بصوته العذب الشجيّ !**

**فأهل الكويت يحبون الرادود الحسيني (باسم الكربلائي) الذي أصبح من وجوه القوم مكانة وثراءً بسبب العائد المادي الهائلة لهذه الحفلات الحسينية!**

**وأهل البحرين يفضلون الرادود الحسيني (جعفر الدرازي) الذي يصدح بصوته الجميل في المسيرات وفي كل عام.**

**ويبرز التنافس –وفي الغالب غير شريف- بين الرواديد لكسب الأسواق العالمية، فأفضل سوق للرواديد هو في الكويت حيث الغناء الفاحش، ثم يليه أوروبا .. وهكذا، يكون التنافس ويصل إلى تبادل الاتهامات والطعن والمهاترات!**

**وتبدأ المسيرات الحسينية بالغناء والأهازيج، ويتمايل الرادود والمغني يميناً وشمالاً، ويتمايل الناس معه في طرب واستمتاع، ويضربون على صدورهم محدثين نغماً منتظماً وبشكل موحد، وكل رادود يحرص على جمع أكبر عدد ممكن لديه.**

**لكن ومع هذا الاختلاف المصالحي الشخصي، يظل الهدف موحداً في الجو العام للمآتم، وهو صياغة الأشعار والكلمات بما يخدم الهدف الأساسي وهو تفريق كلمة المسلمين، وتغذية الكراهية والحقد!!**

**فباسم مأتم الحسين..**

**ُيلعن المخالفون، ويلعن الصحابة، وتلعن أمهات المؤمنين..**

**ويكفر الصحابة، ويكفر من خالف الشيعة..**

**ويلعن ويشتم أفاضل الأمة سلفاً وخلفاً..**

**فدائماً تسمع ..**

**اللهم ألعن الأول والثاني..**

**اللهم ألعن أول ظالمي آل محمد..**

**اللهم ألعن من كسر الضلع.. وخلع الباب .. وأجهض الجنين .. إلخ!!**

**أطفال أعمارهم السنة والثلاث والخمس.. يلطمون على صدورهم.. ويتعلمون اللعن والشتم والسب والتكفير والقذف!!**

**إنها –يا سادة- مصانع للثأر والأحقاد والبغضاء، يغذون الصغار على حب الانتقام والكراهية، بواسطة القصص الخيالية الموضوع أكثرها، والأصوات المؤثرة، والمشاهد والصور المعبرة، ثم الخطب التي تضع على نار الكراهية المزيد من الحطب!!**

**يدعون المهدي المنتظر .. وينادونه : يا أبا صالح وينك، وفينك عن الأعداء، متى تجي تبرد الكبد تذبحهم !!!**

**من هم هؤلاء الأعداء؟**

**هل هم قتلة الحسين ؟**

**ألم يموتوا قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً!!**

**إذن .. من هم قتلة الحسين الذين سينتقم منهم شيعة المآتم؟!**

**لماذا تقام مسرحيات (الشبيه)؟**

**ولماذا تمثل أحداث كربلاء ونساء أهل البيت يجلدن..**

**ثم يصيح الصائح: هذا هو جيش الشام يعذب السبايا من بنات أهل البيت؟؟**

**لماذا أهل الشام؟!**

**وهكذا أصبح (يا لثارات الحسين) نداء المطالبة بالثأر لدم الحسين عليه السلام. وهو من جملة نداءات أنصاره، وشعار الملائكة الملازمين لقبره حتى ظهور صاحب الزمان عليه السلام (بحار الأنوار 286:44 و 103:98)، وهو أيضاً شعار المهدي حين يظهر طالباً بثار شهداء كربلاء(منتهى الآمال 542:1)، وهو أيضاً شعار أنصار المهدي المشتاقون للشهادة في سبيل الله: " شعارهم: يا لثارات الحسين"(بحار الأنوار 308:52) .**

**إن هذه المآتم ليست إلا مصانع سياسية تغذي روح الكراهية في قلوب عوام الناس، لتزرع الأحقاد بين الطوائف الإسلامية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!**

**همسة أخيرة ..**

**يقول الشيخ العالم الشيعي الكبير "مرتضى مطهري" :   
(إذا تجاورت النحل وتعاشرت تبادلت العقائد والأذواق وإن تباعدت في شعاراتها ، من ذلك مثلا سريان عادة التطبير أي ضرب الرؤوس والقامات وضرب الطبول والنفخ في الأبواق من المسيحيين الأرثوذكس القفقازيين إلى إيران وانتشرت فيها انتشار النار في الهشيم ، بسبب استعداد النفوس والروحيات لتقبلها).  
في كتابه: (الإمام علي في قوته الجاذبة والدافعة – 180).**

**فمتى سيبادر مراجع الشيعة وقيادات إيران إلى إخماد نار الفتن الطائفية، ونشر ثقافة التسامح والأخوة الإسلامية الحقيقية؟**

**متى سيكفون عن شتم ولعن الصحابة وأمهات المؤمنين؟**

**متى سيوقفون التيار العاشورائي الهادر  بالبغضاء والتشاحن والكراهية؟**

**متى..؟**

**متى..؟**

**بارك الله فيك أخي الكريم صخرة الخلاص .**

**ولكن صدقني أخي الكريم أنه لن تجد استجابة منهم بتاتا الا ان يشاء الله . لأن المسألة لديهم انطوت على خبث و مقصد .**

**أخي الكريم لو وجهنا مثل هذه الموضوعات إلا ثلاثة أصناف من المسلمين .**

**الأول منهم هم ولاة الأمر و حكام المسلمين الذي ربما يعتقدون أن مثل خرافات الشيعة ماهي الا مجرد ارث و معتقد فقط .**

**ثانيا : عامة المسلمين ليعلموا الحقيقة .**

**ثالثا : عقلانيهم أو ما يسموا بليبراليهم و علمانييهم .**

**إلى هؤلاء الثلاثة أقول لكم : لقد ياليت تتعرف من هو فعلا مناهجه تغذي العنف و التطرف و اقصاء الآخر.**

**لقد نبشت الليبراليين كتب السلف و مناهجنا الدراسية بحثا عن بعض النصوص التي ربما تزيد من وتيرة الحماس لدى الشباب أو كما قلتم تزيد من الكراهية و الاقصاء و العنف او تغذيه . معنى أن هذه النصوص الشرعية كانت بقال الله و قال رسوله صلى الله عليه و سلم . وما وجدتم الا نص او نصين أو ربما ثلاثة .**

**بل إنكم ذكرتم أن الشيعة ممن ناله ثقافة الاقصاء بسبب مناهجنا . وهذه المناهج إن كانت سبب في العنف فما كانت نتائجها الا أفراد قلة لم يفهموها جيدا و زاد منها ما يواجهه العالم الاسلامي .**

**ومع ذلك كله . لم تناقشوا ثقافة الاقصاء أو العنف او تغذية الحقد و الثار و القتل في كتب الرافضة و تراثهم . و التي تمتلئ بها كتبهم و خطبهم و مؤتمراتهم . حتى رأينا نتائج هذه الثقافة في قتل و تهجير عشرات الالاف من السنة في العراق .**

**بل إنكم رفضتم فقط مجرد الاطلاع على كتبهم و سماع حسينياتهم و عويلهم .**

**و الأدهى أن تلك الثقافة بنيت على باطل وليس لها أصل في الدين او دليل عقلي او نصي .**

**رغم ما ترونه في شاشات القنوات الفضائية .**

**فمتى تنتبهون و تصحون من سباتكم . و كل الذي أخشاه أنكم لا تصحون او لا تقتنعون الا بعد ما ترون ضم او احتلال مثل دولة البحرين كما طالب بذلك بعض رجال ساساتهم و ملاليهم او على الأقل تصدير الثورة من السستاني او الصدر او من ايران الى الخليج العربي . وقتا لا ينفع الندم ولا مناقشة في تراثهم . فالله المستعان .**

**أخي الكريم صخرة الخلاص لي رغبة منك فقد وددت أنك لو اتحفتنا بقلمك بكتابة موضوع عن الحضور الديني و الدور الذي يلعبه رجال ( الدين ) في السياسات و الأمور الكبرى وخذ مثالا لذلك . دور البطريرك صفير في لبنان و الاجتماعات معه من كبار الدولة بل حتى من المسلمين . مع انه رجل دين في صومعته ومع ذلك لم نجد من يطالبه بالعلمانيه و بعد الدين عن السياسة .**

**مثال آخر ملالي الرافضة و شيوخ الصوفية . و تسابق النخبة من السنة لدعوتهم الى مجالسهم و احترامهم بكل قوة .**

**مثال آخر رجال الدين في بورما و حضورهم الفاعل في المظاهرات**

**حضور شنودة بكل قوة في محافل مصر السياسية .**

**حتى إنك لا ترى أن أي رجل سياسة لا يعتمد أمر أمر أو يقره إلا بعد أن يأخذ بركات رجل الدين .**

**و على عكس ذلك كله تقاس العلماء و طلبة العلم عن هذا الحضور الفعال في السياسة .**

**بل الأدهى أنك تجد من يدعو علماء الصوفية او الرافضة أو حتى الأساقفة إلى موائده و مجالسه و يتقطع فرحا بهم و احتراما لهم رجاء بركاتهم و تأيدهم تجد هلاؤ هم من ينادي باقصاء الدين عن الدولة و عن السياسة و قصر العلماء في ثقافة المسجد فقط . حينما يكون العلماء من السنة .**

**حتى خيل إلي أن أكثر الناس تطبيقا لمبدا فصل الدين عن الدولة هم بعض العلماء للأسف . و أكثر الناس تركا للعلمانية هم منتسبوها .**

**فياليت بارك الله فيك انت أو شيخنا بندر الشويقي من يتصدى لمثل هذا الموضوع و يتحفنا بأروع الكلمات بارك الله فيكم و سدد خطاكم و نفع بكم الأمة**

**أخي صـخرة الخـلاص.**

**حـين تسـأل شـيعياً عن مغـزى تلك الاحـتفالات الكربـلائيـة ، وعـن مقصـود الشـيعة بلعـن أعـداء آل البيـت والشـوق للانـتقام منـهم، يقـول لك  الشـيعي : ليس المقصـود بذلك أهـل السـنة، وما يمـارس في تلك المـآتم من بكـائيات ولطـميات المقصـود به فقـط ترسـيخ مبـدأ الثـورة على الظـلم الذي بـرز في ثـورة الحـسـين على يزيـد!**

**لكـن احـتفالات كـربلاء هـذا العـام تكـذب هـذا الكـلام، فاللطـم والنـدب والتـذكير بثـورة الحـسـين ضـد الظـلم يـتم مـع الخضـوع والخـنوع لأكـبر ظـالم في العـالم : "أمريـكا"!!**

**احـتفالات كربـلاء تقـام هـذا العـام تحت حـماية من لو كان الحـسـين حـياً لبـدأ به قـبل غـيره.**

**مليـونا شـيعي يجـتمعـون الآن في كـربلاء للتـذكير بثـورة الحـسـين.**

**أظـن هـذا العـدد الضـخم لو بصـق على الجيش الأمريـكي لأغـرقه!**

**لكن الأمريـكان ليسـوا مقصـودين بذلك كـله. بل المقصـود تغـذية عـقل الشـيعي المسـكين بأحـقاد طـائفـية ضـد سـائر المسـلمين الذين يصـوَّرون للشـيعي بصـورة ورثـة الفـاجر يزيـد قـاتل الحسـين!**

**\_ \_ \_ \_ \_ \_ \_ \_ \_ \_**

**قـد يكـون دم الحسـين غـالياً لدى الشـيعي العـامي الصـادق.**

**لكـنه أغلى وأنفس عـند صـاحب العـمامة ، فـدم الحسـين هـو السـلعة التي تـدفع لأجـلها الأخـماس لذوي العـمائم السـوداء!**

**روابط الأمة في ظلال الهجرة**

 علي بن عمر بادحدح [\*\*](http://www.islamonline.net/Arabic/NewHijriYear/Events/02.shtml#**) 2005/02/06

|  |
| --- |
| pic02 |
|  |

" روابط الأمة في ظلال الهجرة " أمر مهم أن نتأمله ، وموضوع جدير أن نستوعبه ؛ لأن القدوة العظمى في سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كانت ومازالت وستظل النور الذي يضيء للأمة طريقها ، والبوصلة التي تحدد لها مسارها والمعالم التي تعلي لها منارها { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } [ الأحزاب:21 ] .

إن هذا الحدث الذي يمرّ علينا في كل عام ما تزال أنواره وأسراره تكشف لنا الكثير من الخلل والخطر الذي تعيشه أمتنا ، فهل من مدّكر ؟ وهل من معتبر ؟ وهل من متأمل ومتبصر؟ ليس على مستوى الفرد المسلم فحسب ، بل على مستوى الأمة كلها ، وليس على مستوى الأمة في حياة عامتها ، بل في توجهات قادتها .. إنه الحدث العظيم الذي غيّر وجه تاريخ البشرية كلها .. إنه الحدث العظيم الذي أعلن مبادئ الأمة وشيد معالم الدولة.

فلننظر إلى الروابط في حياة أمة الإسلام كيف ينبغي أن تكون ؟ وما الذي يقدّم ؟ وما الذي يؤخر ؟ وما الذي يكون ملء السمع والبصر وملء النفس والقلب ؟ وما الذي يكون لا حظ له من الاعتبار ، ولا نظر له في مقياس أهل الإيمان .. ننظر إلى ذلك في أحداث هذه الهجرة بجملتها فيما مرّ به أصحاب النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفيما سطّروه لنا من المعاني العظيمة ، والدروس الجليلة .. إنهم خريجو مدرسة النبوة ، إنهم الذي صنعوا على يد خير الخلق وسيد البشر صلى الله عليه وسلم ، إنهم الذين لامس الإيمان شغاف قلوبهم فخالطها وجرى مع دمائهم في عروقهم.

ومن هنا ؛ فإن كل ما نأمله من تغير الأحوال إنما يرتبط بهذا الاستيعاب لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحياة أمة الإسلام في ظلال قيادته الرشيدة ونبوته العظيمة عليه الصلاة والسلام.

الارتباط بالديار والأوطان .. مهوى الأفئدة ، ومسقط الرأس .. البلاد التي يعيش فيها المرء ويدرج في ثراها ، يتعلم في ظلالها ، وينشأ في مدارجها ، ويلعب في صباها .. هذه البلاد التي تنشد إليها القلوب ، تلك الأوطان التي ترتبط بها النفوس والأفئدة ما موقعها في مقياس الإسلام ؟ وهل هي المقدمة التي نسمع اليوم من يقول عن " حب الأوطان " ، ومن يقول " جهاد في سبيل التراب " ، ومن يقول في هذه المعاني حتى أصبحت كأنما هي آلهة تعبد ، وكأنما هي أوثان لها يسجد ، وكأنما هي في حياة المسلم أو الأمة كلها أعظم من كل عظيم ينبغي أن يعظم.

انتبه إلى السيرة النبوية في الهجرة في هذه الأحداث اليسيرة حدث لهذا الأمر كان ممن سبق إلى الهجرة وتقدم إليها عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد الضرير الشاعر الشهير ثلة من النفر الأوائل الذين خرجوا مهاجرين إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأمر الذي أمر به الله وأمر به المصطفى عليه الصلاة والسلام خرجوا لا يلوون على شيء مازال حب أرضهم يتجذّر في قلوبهم ، ومازالت ديارهم حبيبة إلى نفوسهم مازالت ذكرياتهم حاضرة في أذهانهم ، لكن أمر الله - عز وجل - والارتباط به ، والاعتزاز به كان أعظم في نفوسهم من كل شيء .

ومن هنا ؛ فإن غلب على حب الأوطان ولم يلغه ، وإنه تقدّم على حب الديار ولم يمحه ، وهكذا كان أولئك النفر الأوائل يرسمون لنا ما رباهم عليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم .. خرجوا وتركوا وراءهم ديارهم ، ليس فيها أحد مطلقاً . وجاء صاعدٌ من أعلى مكة عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل ، والعباس بن عبد المطلب ، بعد أن تمت الهجرة لأولئك فمروا ووقفوا عند الديار ، وتأمل عتبة بن ربيعة - وهو على كفره وشركه - لكن المعاني الإنسانية تثور في النفوس ، تأمل الديار تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن فتمثل قائلا:  
وكل دار وإن طالت سلامتها \*\*\*\* يوما ستدركها النكباء والحوب  
فقال أبو جهل ‏‏:‏‏ وما تبكي عليه من قُلّ بن قُلّ ‏‏.  
تصوير الضرير الشاعر!

أبلغ من ذلك ما قصه لنا أبو أحمد بن جحش رضي الله عنه - هذا الصحابي الضرير الشاعر - يصور لنا تلك المشاعر التي تجيش بها النفوس ، يوم خرجوا مهاجرين ، مخلفين الديار والأوطان ، ويذكر الحوار الذي تصوره وجرده بينه وبين زوجته أم أحمد ، وهي تخاطبه مصورا ذلك شعراً ويقول:  
لما رأتني أم أحمد غاديا \*\*\*\* بذمة من أخشى بغيب وأرهب  
تقول: فإما كنت لابد فاعلا \*\*\*\* فيمن بنا البلاد ولتنأ يثرب  
" ماذا تريد بهذه البلدة ؟ ولم التوجه إليها؟ "  
فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا \*\*\*\* وما يشأ الرحمن فالعبد يركب  
" فأمره مقدم - جل وعلا - ودينه معظم على كل شيء "  
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم \*\*\*\* إلى الله يوما وجهه لا يخيُّب  
فكم قد تركنا من حميم مناصح \*\*\*\* وناصحة تبكي بدمع وتندب  
ترى أن وترا نأينا عن بلادنا \*\*\*\* ونحن نرى أن الرغائب نطلب  
" أي قوم لا يفقهون فيقولون: لماذا تقطعون جذوركم؟ ولماذا تبتون حبال وصلكم؟ ولماذا تهجرون دياركم؟ "  
ترى أن وترا نأينا عن بلادنا \*\*\*\* ونحن نرى أن الرغائب نطلب  
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى \*\*\*\* أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا  
نمت إليهم بأرحام إليهم قريبة \*\*\*\* ولا قرب بالأرحام إذ لا نقرب  
فإن الذي يقرب هو الإيمان والدين.

**رابطة الأهل والولدان:**

ولننظر إلى رابطة أخرى تجذب الناس وتربطهم .. رابطة الأهل والولدان  
رابطة القرابة والدم كيف تؤثر في الناس فتجعل حياتهم دائرة حولها ، فهذا يسعى لأجل أبنائه ، وذاك يتعلق بزوجه ، وهذا لا يكاد يفكر في شيء إلا في أهله لأجلهم يضحي بكل غالٍ ورخيص ، ولأجلهم يمكن أن يبيع مبدأه وأن يتنازل عن دينه فكيف كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟

ذكر أهل السير أن من أوائل من هاجر إلى المدينة قبل سنة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه ، وهاهي أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها تروي لنا حادثة هجرتها ؛ لتبين أن الارتباط بالله وبالدين أعظم من الزوج والأهل والأبناء والقرابات والدم والعصابات وكل شئ .. فها هي تخبرنا بذلك تقول: " لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل بعيراً له ، وحملني وحمل معي ابني سلمة ، ثم خرج يقود بعيره - امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم إذ أمر أصحابه بالهجرة بعد أن بزغت أنوار الإسلام في قلوب الأنصار - فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه . قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة .. "

تفرقت الأسرة ، وتشتت الشمل ، وتقطعت الأواصر ، وذلك في الله سبيل عز وجل ، ولم يقعد أبو سلمة - رضي الله عنه - حنينه إلى أهله ، ولا ارتباطه بأبنائه ، ولا تقديره وتكريمه لزوجه وإن كان كل ذلك في قلبه ونفسه لكن في إيمانه بربه واعتصامه بدينه ما هو أعظم من هذا وأوثق ، فمضى مهاجرا دون أن تقعده زوجة ، ودون أن يجذبه أبناء ودون أن يحول بينه وبين المضي لأمر الله عز وجل أهل ولا ولدان ، ولا صحب ولا خلان ، بل هو أمر تعظيم الإيمان.

هكذا في صورة أخرى ختمتها أم سلمة بقولها : " ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت . قالت ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني . قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت وما معي أحد من خلق الله . قالت فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم علي زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال أوما معك أحد ؟ قالت فقلت : لا والله إلا الله وبني هذا . قال والله ما لك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، فحط عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني ، وقال اركبي . فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا إلى مكة . قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة " ، ذلك الذي مضى بأم سلمة لتلحق بزوجها بعد عام كامل كانت كل يوم تبكي فيه فرقة زوجها وعدم تمكنها من الهجرة.

**رابطة الدرهم والدينار**

ورابطة ثالثة عظيمة في نفوس الناس ، عظيم تأثيرها في واقع حياتهم: رابطة الدرهم والدينار  رابطة المال والثروات .. رابطة كسب الدنيا الذي أدارت العقول ، وسبت القلوب ، وخطفت الأبصار .. الرابطة التي أطلق النبي عليه الصلاة والسلام عليها وصف العبودية يوم قال:

( تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ) ، سماه عبداً لمّا كانت الدنيا أكبر همّه ، وأوكد شغله ، لأجلها يكدح ، وفيها يفكر وبها يتعلق ، ومنها ينهل ، فليس في قلبه ولا في نفسه ، ولا في فكره وخاطره شيء سواه .. لكن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم هاجروا ركلوا دنياهم بأقدامهم ، وداسوا على كل ذلك الثراء الذي كدحوا من أجله ، ونصبوا في تحصيله ، لكنه يوم كان في كفةٍ والارتباط بالله وبدين الله في كفة ..لم يكن عندهم أدنى تردد أن يضحوا بالدنيا كلها ، وبالمال - وإن عظم ، وبالثروة وإن تضاعفت ، لأن في نفوسهم ما هو أعظم من ذلك.

وقصة صهيب الرومي في هذا واضحة يوم عزم على الهجرة وجاء خارجا فلحقه أهل قريش قائلين له : جئتنا صعلوكا حقيراً ، ثم كثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ! والله لا يكون ذلك ، قال: أرأيتم إن دللتكم على مالي أتتركونني وهجرتي؟ قالوا: نعم، فدلهم على ماله وثروته ..  
خرج منها صفر اليدين ، خاوي الوفاض بعد أن كانت حصيلة أعوام طوال وعمل عظيم لكنه ذهب وقلبه مملوء بما هو أعظم من ابتلائه بالدنيا ، مملوء بإيمانه بالله وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ المدينة ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك قال له النبي عندما رآه ولقيه: ( ربح البيع أبا يحي، ربح البيع أبا يحي ) .  
بيعة رابحة وصفقة عظيمة وتجارة رائجة ؛ ذلك أنه اشترى آخرته بدنياه ، واشترى دنياه بذهبه ودنانيره ، ذلك أنه آثر آخرته على دنياه ، وقدّم مرضاة الله - سبحانه وتعالى - على نوازع نفسه وميل قلبه، ولذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ( ربح البيع أبا يحي ).

ومن هنا قال بعض أهل التفسير أيضا: أن فيه وفي أمثاله نزل قول الله سبحانه وتعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } [ البقرة:207 ] .

وهكذا بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم الصفقة العظيمة:( ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هي الجنة ) .  
من أرادها فليدفع ثمنها، من أعجب بالحسناء لم يغله المهر، لابد أن نفقه ذلك: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ } [ التوبة: من الآية 111] .

هل أمة الإسلام اليوم تؤثر ربها ودينها على أرضها وديارها؟ وهل هي تقدّم أمر ربها وأمر مرضاته وطاعته على طاعة الأزواج والأبناء والبنات؟ وهل هي تتعلق بقلوبها وتهفو بنفوسها إلى صلتها بربها أعظم من خفق قلوبها وميل نفوسها إلى الدنيا وبهرجها وزينتها ؟

**الهجرة بين تحديد المسار والارتباط:**

إن الهجرة تحديد للمسار الصحيح ورسم للارتباط اللازم في حياة الأمة ، إن أمة الإسلام لم تكن يوما عبدة ولا مسخرة ولا متعلقة بتراب من الأرض مهما غلا ثمنه ، ولا بأهل حتى عزّت مكانتهم ، ولا بال مهما كان النصب بتحصيله ؛ لأن ما هو أعظم من ذلك هو الذي ملأ قلوبهم ونفوسهم ، وشغل خواطرهم وأفكارهم ، وأضنى أجسادهم وجوارحهم .. ذلكم هو الارتباط بالله عز وجل.

وكذلك : الارتباط برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف نرى ملامحه في أحداث الهجرة ؟ كيف نؤسس الأساس الصحيح لصلتنا بسيدنا رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟ كيف تكون رابطتنا به ؟ هل هي مجرد أقوال نترنم بها ؟ هل هي مجرد ادعاءات نجادل عنها ؟ هل هي مجرد صور فارغة لا روح ولا حقيقة فيها ؟

لننظر إلى الدرس العملي العظيم الذي ساقه إلينا أفضل الصحابة - رضوان الله عليهم - أبو بكر الصديق - سيد الصحابة ومقدمهم رفيق المصطفى صلى الله عليه وسلم في الهجرة وثاني اثنين إذ هما في الغار وأحب الناس من الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذلك الذي اختاره الله - جل وعلا - ليحظى بالشرف العظيم في المرافقة في الحدث العظيم ؛ لننظر إلى ما كان من أبي بكر ، ولنرى من سياق فعله في هذه الهجرة ما هو معالم كاملة لما ينبغي أن ترتبط به الأمة في مجموعها والمسلمون في آحادهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

**أولا: السمع والطاعة**

السمع والطاعة تمثلت في موقف أبي بكر عندما أمر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالهجرة كان أبو بكر يتوق إليها ويرغب فيها وجاء يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤخره ويمنعه: ( انتظر يا أبا بكر لعل الله يجد لك صاحبا ).

وأبو بكر يسمع ويطيع ، لا يعارض ولا يجادل ولا يحرف ، ولا يؤخر ولا يسوف ، وإنما هو كمال الامتثال ؛ لأن هذا هو الذي أمر به كل مسلم اقتداء واتباع وسمع وطاعة: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [ آل عمران: من الآية 31 ] .

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [ الأحزاب: من الآية 36 ] .

والدرس قد جاء في حق أبي بكر رضي الله عنه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [ الحجرات:1] .

وليس هو فحسب ؛ وإنما الصحابة رضوان الله عليهم أمرهم أن يهاجروا وأن يسبقوه لم يقولوا: كيف نمضي وأنت هنا في مكة؟ لم يقولوا شيئا يعارضون به أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون أن أمره وحي يوحى وشرع يقر.

**ثانياً: التعلق والمحبة:**

تعلق قلبي ومحبة نفسية ؛ لإنه لا يمكن تصور اتباع مجرد عن العواطف الإيمانية ، ولا عن المشاعر الإنسانية، هل رأيت أحداً يوافق أحداً ويتابعه وقلبه قد نبض ماء المحبة فيه ، ونفسه قد غاضت منها مياه المودة ؟  
هل يتصور أن يكون اتباع مجرد ليس فيه روح ولا شعور؟  
انظر إلى ما كان الصديق - رضي الله عنه - **في حياته كلها لكننا نريد حدث الهجرة الذي نحن بصدده:**

كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال :يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟ - أي لو كان هناك خطب سيحل بنا في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر أ كنت تحب أن تصاب به دون أن أصاب به أنا ؟ - فقال على الفور قال : نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمّة إلا أن تكون بي دونك . رواه البيهقي في الدلائل.

محبة من القلب تجعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أعظم في النفس والقلب من النفس ذاتها: ( حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ) .. ( حتى أكون أحب إليه من أهله وولده ونفسه التي بين جنبيه ) .. (الآن يا عمر ).

هذه هي المحبة الصادقة التي تتجسد خفقاً في القلب ونبضاً ، والذي تتجلى في تعلق وشوق وتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليست أيضا متجردة عن الاتباع والسمع والطاعة ؛ فإنها حينئذ إن كانت كذلك محبة كاذبة محبة رخيصة تكتفي بأقوال أو أشعار تكتفي بصور أو مظاهر ، لكنها لا تريد حمل العبء ولا القيام بالمهمة ولا اتباع الطريق الطويل المضني الشاق الذي سار فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنها محبة كاذبة فارغة إن لم تجتمع معها تلك المبادرة إلى الاستجابة والموافقة والمتابعة.

**ثالثا: البذل والإنفاق**

الذي كان من أبي بكر في هذه المسيرة العظيمة في هجرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لقد هيأ الراحلتين وعلفهما ، وهيأ زاد الرحلة كلها ، وأخذ معه خمسة آلاف أو ستة آلاف كانت هي مجموع ثروته كلها ، لم يبق لأهله من ورائه درهماً ولا ديناراً .. إنه ينفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ؛ ليمضي الأمر وليتمم المسيرة وليحقق الغاية .  
وهكذا ينبغي أن نكون نحن – أيضاً - في هذا الشأن وإن لم يكن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بين أيدينا، أليس قد تجرأ من تجرأ على شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فذمّه وعابه ؟ فأين الذين تصدوا لذلك غيرة ؟ وأين الذين أنفقوا في حربه من أموالهم ؟ وأين الذين تصدوا له بكل قواهم ؟ كذلك ينبغي أن نكون.

ثم ننظر أيضا إلى معلم آخر: وهو : معلم التعظيم والخدمة  
التي قام بها أبو بكر - رضي الله عنه - في صورة فريدة جميلة رائعة تجسّد لنا كيف كان ذلك الصحب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
يخبر في حادثة الهجرة فيقول: ثبتت لنا صخرة طويلة لها ظل قد نأت عنه الشمس فلجأنا إليه، قال: فسويت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً ثم فرشت عليه غطاء، وقلت: يا رسول الله اجلس فنم أنفض لك ما حولك- أي سأستجلي الخبر وأنظر ما حولك وأنت عليك بالراحة والنوم - قال: فذهبت أنفض ما حوله فإذا أنا براع مقبل يريد من الظل ما أردنا منه، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قل: لفلان، فقلت: هل في غنمك لبن؟ قال: نعم، فاحتلبت منه، قال: ثم صببت عليه الماء البارد حتى أبرده لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت فإذا هو قد نام فكرهت أن أوقظه فوقفت على رأسه إلى أن قام فسقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وفي الرواية الأخرى: لما جاء يحلب حلب أبو بكر بنفسه، قال: فنفضت عن الضرع الغبار وأزلت عنه الشعر والقذى تطييبا للبن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ونحن ينبغي أن نخدم سنته وأن نخدم سيره وأن نفعل كل ما نستطيع في ذلك.

ونرى أيضا هذه المعالم وهي توالى ومن أعظمها : التضحية والفداء  
التضحية والفداء الذي كان من أبي بكر رضي الله عنه في قوله للرسول :" إن قتلت أنا قتلت وحدي وإن قتلت يا رسول الله هلكت الأمة "، هكذا كانت نظرتهم وهكذا كانت مشاعرهم فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وبماله وبراحته وبكل شيء كان منه ؛ ليرسم لنا أبو بكر هذا الارتباط الصادق الواعي برسول الله صلى الله عليه وسلم.

**رابعاً: الارتباط بالمسلمين**

ارتباط المسلم بإخوانه المسلمين ، ارتباط أهل كل بلد مسلم بإخوانهم - وإن نأت بهم الديار ، وإن اختلفت أو تباعدت منهم الأقطار ..

في هذه الهجرة كانت الصورة الفريدة الخالدة التي بينت أمر التفضيل والتقديم، هل هو للأرحام وللأنساب وللدم وللعرق؟ أم هو للدين ولله وللرسول ولأمة الإسلام ووحدتها؟  
لقد رسم الصحابة في هجرتهم هذا المعنى ليس بمجرد الأقوال بل بالأفعال ؛ لأنهم آثروا أن يرتبطوا ارتباط الإيمان وأن لا يكون ارتباط الدم إذا كان عائقا أو معارضا عقبة في طرق هذا المسير الذي اختاروه وارتأوه.

وأمر الأخوة والمحبة وهو الأمر العظيم الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان فقال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .  
والذي جعله الله - جل وعلا - قبل ذلك سمة عظيمة وجزءاً أصيلا ، ووجهاً آخر للإيمان في الآية التي فيها حصر وقصر: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [ الحجرات: من الآية 10] .

**مرتبة الامتزاج والإيثار:**

لقد تجلّت الأخوة في أجلى وأعظم صورها ، وبلغت أعلى مراتبها وهي الامتزاج الكامل حتى يصبح المسلم كأخيه المسلم فيصبح المسلم بمنزلة ومكانة ممتزجة نفسه بنفسي مختلطة مشاعره بمشاعري متأثرة اهتماماته باهتماماتي وبعد ذلك يكون الأمر الأعظم في أن أوثره على نفسي وأقدمه على مصلحتي: { وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [ الحشر:9 ] .

صورة للتربية الإيمانية ، والتطهير القلبي ، والتهذيب النفسي الذي جسدته الهجرة في علاقة الصحابة والمسلمين بعضهم ببعض: { يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِم} .

وليست بينهم أنساب ولا أحساب ، وليست بينهم مصالح ولا منافع ، وليست بينهم سابق معرفة ولا صلة يحبونهم من أعماق قلوبهم: { وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا } ، أين مثل المهاجرون يوم قدموا؟ يوم قدموا إلى المدينة وتركوا ديارهم، أين ديارهم في المدينة؟ لقد كانت دور الأنصار دورا لهم ولقد كانت أراضي الأنصار أراضي لهم ، ولقد كانت زروعهم وثمارهم وأموالهم هي أموال إخوانهم، فهل هذا يتجلى في حياة الأمة اليوم؟ أم أننا نرى صورة " أنا والطوفان من بعدي " ؟ أم أن ما نراه " الأنانية والذاتية " إما على مستوى الفرد ، أو على مستوى المجموعة والدولة والقطر ، فهؤلاء لهم كذا وهؤلاء لهم كذا ، وتفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً حتى كأن كل فرد منها أمة وحده .

أين هذه الصورة العظيمة التي أخرج البخاري في وصفها الحديث العظيم في قصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وهو يقول- أي سعد بن الربيع الأنصاري - لعبد الرحمن بن عوف المهاجري : إني أكثر الأنصار مالا فانظر أي مالي أحب إليك أقسمه لك؟ وإن لي زوجتين فانظر أيهما تحب أطلقها فتعتد ثم تزوجها ؟! فيقول عبد الرحمن رضي الله عنه: أمسك عليك زوجك ومالك ودلني على السوق، وأخذ منه مالا ضارب به ثم إذا بعبد الرحمن بن عوف أثرى أثرياء صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أين القلوب المحبة والنفوس المتآخية والصفوف المتراصة المتلاحمة؟  
درس الهجرة تعليم للأمة في روابطها كيف ينبغي أن تكون ارتباطها بالله والدين .. ارتباطها بالرسول العظيم .. ارتباط المسلمون بإخوانهم المسلمين ..

الهجرة النبوية في فكر الشيخ الغزالي [\*](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#*)

|  |
| --- |
| [وصفي عاشور أبو زيد](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#***1) |

لقد تمتع الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- بثقافة موسوعية أنتجت لنا العديد من الكتب في شتى نواحي الفكر والمعرفة؛ فنجد له تراثًا في العقيدة والتفسير، والأخلاق والتصوف، والفكر والفلسفة، والأدب والدعوة، والإصلاح والتغيير، وغيرها.

ومن أبرز المجالات التي أبدع فيها الشيخ الغزالي مجال السيرة النبوية التي له فيها صولات وجولات مع الأحداث، وتعليقات على كثير من المواقف والغزوات، يشعر القارئ معها بفكر جديد وفهم فريد لأحداث ووقائع السيرة العطرة.

ومن القضايا المهمة التي تحدث عنها الشيخ في السيرة في غير موضع من كتبه قضية الهجرة النبوية التي تمر علينا ذكراها في هذه الأيام، وقد تمركزت أفكار الشيخ حولها فيما يلي:

أولا: الهجرة حدث أكبر من أن تعلق عليه سورة واحدة

وهذه واحدة من مناقب الشيخ في فهمه للهجرة النبوية؛ ذلك أننا أَلِفْنا أن يتنزل القرآن تعليقًا على ما يكون من أحداث؛ فيوجه المسلمين التوجيه الذي يفتقرون إليه؛ فإن كان نصرًا بيّن أسبابه وكسر الغرور الذي قد يصاحب المنتصرين، وإن كانت هزيمة بيّن أسبابها ومسح التراب الذي عفر جباه المنهزمين.

لقد نزلت سورة الأنفال في أعقاب غزوة بدر، ونزلت سورة الأحزاب في أعقاب الخندق، ونزل النصف الأخير من  سورة آل عمران في أعقاب أحد.. فهل نزلت في أعقاب الهجرة سورة لا سيما بعد نجاح رحلتها كما حدث في أعقاب الغزوات؟

ويجيب الشيخ على هذا التساؤل قائلا: "لم يقع هذا، ولكن وقع ما هو أخطر وأهم، كأن الله -سبحانه وتعالى- حكم بأن قصة الهجرة أكبر من أن تعلق عليها سورة واحدة، وأن تمر مناسبتها بهذا التعقيب وينتهي الأمر؛ فحكم -جل شأنه- بأن تكون ذكرى الهجرة قصة تؤخذ العبرة منها على امتداد الأيام، وتُذكر في أمور كثيرة وفي مناسبات مختلفة"[(1)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#1).

ومن ناحية أخرى يرى الشيخ أنها لم تُذكر في سورة واحدة مثل المعارك؛ لأن "هذه المعارك استغرقت أيامًا قليلة، أما الهجرة فشأن آخر.. لقد ظلت أفواج المهاجرين متصلة سنين عددًا، وتطلَّب التعليق عليها مواضع عديدة"[(2)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#2).

ومن ثم ذُكرت الهجرة في سور: البقرة[(3)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#3) وآل عمران[(4)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#4) والنساء[(5)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#5) والأنفال[(6)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#6) والتوبة والنحل[(8)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#8) والحج[(9)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#9) والممتحنة[(10)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#10) والتغابن[(11)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#11) والحشر[(12)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#12)... وكان التعليق في كل سورة إبرازًا لمعنًى مقصود[(13)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#13).

ثانيًا: وزن الإيمان في الهجرة

والإيمان في فكر الشيخ له وزن لا يستهان به عموما، وفي الهجرة خصوصا؛ فليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناءٍ، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة، إنها إكراه رجل آمِنٍ في سربه، ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه وتضحيته بأمواله والنجاة بشخصه، وإشعاره بأنه مستباح منهوب قد يُسلَب أو يَهلك في بداية الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة شخص بنفسه لقيل: مغامر طياش؛ فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها حاملاً أهله وولده؟! وكيف وهو بذلك رضيُّ الضمير وضاء الوجه[(14)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#14).

ما السر وراء تحمله ذلك كله؟ وليس الأمر تحملا وحسب، إنما تحمُّلٌ يصاحبه فرحة وسرور، وصبر يحوطه رضًى وحبور، إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش، هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن تربى على تعاليم النبوة، وقبَس من أنوار الوحي، وتضلَّع من هدْي الإسلام.

أما الهياب الخوَّار القَلِق فما يستطيع أن يفارق أهله ووطنه، فضلا عن أن يكون بذلك مطمئن النفس رضيَّ الضمير.

ثالثًا: إيمان بالمستقبل وثقة بالغيب

هكذا يعبر الشيخ "إيمان بالمستقبل وثقة بالغيب"، وكان المنتظر أن يقول "إيمان بالغيب وثقة بالمستقبل"، لكنه عبر مع المستقبل بالإيمان ليرفع الثقة بالمستقبل إلى درجة العقيدة والإيمان بالغيب.

فلن تكتمل حقيقة الدين في قلب إلا إذا كان الإيمان فيه بالغيب قسيم الإيمان بالحاضر، ولا يصح تدين ما إلا إذا كان الإنسان مشدود الأواصر إلى ما عند الله، مثلما يتعلق بما يرى ويسمع في هذه الدنيا؛ فالمجاهد مثلا يقاتل من أجل النصر للعقيدة أو الشهادة لنفسه، لكن النصر عنده غيب، خصوصًا إذا وهنت الوسيلة، وقل العون، وترادفت العوائق، بيد أن هذا النصر ينبع من الإيمان بالله؛ فهو يمضي في طريقه المر واثقًا من النتيجة الأخيرة. إن غيره يستبعدها أو يرتاب فيها، أما هو فعقيدته أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وإن طال المدى؛ لأن الله حقَّ على نفسه عون الموحدين ونصر المؤمنين.. فلماذا الخوف من وعثاء الطريق وضراوة الخصوم؟ ولِمَ الشك في وعد الله القريب أو البعيد؟!

إن المهاجرين الأوائل لم ينقصهم إيمان بمستقبل أو ثقة بغيب، إنما نهضوا بحقوق الدين الذي اعتنقوه، وثبتوا على صراطه المستقيم، على الرغم من تعدد العقبات وكثرة الفتن، من أجل ذلك هاجروا لمَّا اقتضاهم الأمر أن يهاجروا، وبذلوا النفس والنفيس في سبيل عقيدتهم.

ومع أن الله تعالى وعد المؤمنين أن رسالتهم ستستقر، وأن رايتهم ستعلو، وأن الكفر لا محالة زاهق، إلا أنه علق أفئدتهم بالمستقبل البعيد وهو الدار الآخرة: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ \* أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ \* فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف 41- 44). ومن هنا لا يعتري النفسَ مللٌ، ولا الجسم كلل؛ لأن أشواقه ممتدة إلى المستقبل البعيد، وآماله قد طارت لتحط في أفراح الآخرة عند رب العالمين.

فليس شرطًا أن يرى المرء ثمرة جهاده والتمكين لدينه وهو حي، بل ربما يطويه الموت، ولم يعرف بعدُ نتيجة الصراع بين الهدى والضلال، وهذا كثير الوقوع، لكن وعد الله لا يتخلف: "فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون"؛ فيكون هذا المرء جسرًا تعبر عليه الأفكار والمبادئ إلى جيل يرى نصرتها والتمكين لها.

والخطة المثلى أن يؤدي المرء واجبه المجرد دون استعجال لنتائج المعركة المحتدمة بين الحق والباطل؛ لأن الله قد تولاها بذاته العلية.

في إطار هذا الإيمان العميق لبى المسلمون نداء الهجرة عندما طولبوا بها، واستجابوا لنداء الله ورسوله غير خائفين ولا جازعين[(15)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#15).

رابعًا: فكرة لا رحلة

فالهجرة في فكر الشيخ ليست رحلة ولا عملاً ترفيهيًّا، ولم تكرَّم الهجرة لكونها سفرًا فحسب؛ فما أكثر المسافرين قديمًا وحديثًا بين مكة والمدينة.

إن الشيء الواحد قد يكون عملاً مضنيًا أو لعبًا مريحًا مسليًا، فالمظهر والشكل لا يتغير، لكن الذي يتغير هو البواعث والجوهر والملابسات.

فصيد السمك رياضة مرحة يلهو بها بعض المترفين الناعمين، بينما هو عند أناس آخرين حرفة يرتزقون منها مع الكدح والمكابدة، والرحلة من قطر إلى قطر قد تكون للتنعم والاسترواح، وقد تكون مشيًا في مناكب الأرض لتحصيل علم، أو جمع رزق، أو فرارًا من شر محظور إلى خير منظور.

وهكذا كانت الهجرة.. خطواتٌ يتحرك بها القلب المؤمن في الحياة؛ فتتحرك في ركابها الثقة الغالية والتضحية النبيلة، إنها طريق الأبطال تزدحم بالفدائيين من حملة العقائد، يتركون البلد الذي اضطُهد دينهم فيه ليلتمسوا في مهجرهم مأمنًا لعقيدتهم ومتنفسًا لدينهم، ويقيموا فيه مجتمعا يحتضن الشعائر والشرائع.

وفي الهجرة نفسها خرج رجل إلى المدينة من أجل عشيقة يهواها، وشتان بين المهاجرين لعقيدتهم ودينهم وبين من يخطو خطوات الشهوة الصغيرة، تتحرك بصاحبها؛ فلا تفرق بينها وبين خطوات الدابة التي حملته، ورب قاعد في بلده أشرف نفسًا من هذا المهاجر التافه[(16)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#16).

خامسًا: ليست تخلُّصًا من فتنة بل لإقامة مجتمع آمن

والهجرة في فكر الشيخ الغزالي ليست تخلصًا من فتنة أو فرارًا من أذًى، وإلا لم يكن هنالك مبرر للمكث ثلاثة عشر عامًا في هذا الجو الملبد بسحب الكفر والاضطهاد، إن الذي يبرر هذه المدة هو تمهيد المؤمنين بقيادة النبي -صلى الله عليه وسلم- لإقامة مجتمع جديد في بلد آمن ذهب إليه مصعب بن عمير ليستتبع الناس ويستقطبهم للإسلام؛ ذلك أن إقامة الدين في مجتمع مكة أضحى دونه خرط القتاد؛ لما اتصف به من عناد وجبروت، فلم يكُ يصلح لهذا الفكر، والدعوة ما زالت وليدة غضة طرية، والمسلمون قلة مستضعفة، فلم يكن هنالك بدٌّ من التهيئة للدين في مكان آمن، عندئذ يقوى المسلمون وتشب الدعوة.

ويعلق الشيخ قائلا: "ولا شك أن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة، وأصبح فرضًا على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة -بعد الهجرة إليها- نكوصًا عن تكاليف الحق، وعن نصرة الله ورسوله؛ فالحياة بها دين؛ لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها"[(17)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#17).

سادسًا: الهجرة تطبيق لقانون السببية

الأخذ بالأسباب في فكر الشيخ الغزالي دين، وهو معنًى يكرره الشيخ كثيرًا كلما عرض للحديث عن الهجرة أو للكلام عن تخلف المسلمين وتقدم غيرهم[(18)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#18)، لم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم-: إننا أوذينا وأُخرِجنا من ديارنا؛ فعناية الله ينبغي أن تلاحقنا، وحماية الله يجب أن تحوطنا، ولا حرج في بعض التقصير فإن الله سيجبر الكسر ويسد النقص... إلى آخر هذا الكلام، لم يقل النبي هذا، إنما استنفد كل وسيلة بشرية يمكن أن تؤخذ، فلم يترك ثغرة، ولا أبقى في خطته مكانًا يكمله الذكاء والفطنة.

ومع أن محمد بن عبد الله -عليه السلام- أولى الناس بتوفيق الله ورعايته، وأجدر الخلق بنصره وعنايته؛ فإن ذلك لا يغني عن إتقان التخطيط وإحكام الوسائل وسد الثغرات شيئًا مذكورًا.

ومن هنا جعل -صلى الله عليه وسلم- يفكر في الاختباء في الغار وفي تضليل أعدائه؛ فكان يتجه جنوبًا وهو يريد أن يتجه إلى الشمال، وأخذ راحلتين قويتين مستريحتين حتى تقويا على وعثاء السفر وطول الطريق. وهذا دليل مدرَّب ليعرف ما هنالك من وجوه الطرق والأماكن التي يمكن السير فيها بعيدًا عن أعين الأعداء، وهذا علي بن أبي طالب ينام مكانه ليضلل الكافرين، وذلك يسير بالأغنام وراءهما يمحو آثار المسير، ولكي يكون على دراية تامة باتجاهات العدو ونواياه تأتيه الأخبار عن طريق راعي أبي بكر، كما أتت بعض الأغذية عن طريق بنت أبي بكر... هل بقي من الأسباب شيء لم يؤخذ، أو من الوسائل لم يستنفد، أو من الثغرات لم يُسد؟ كلا كلا..

إن منطق الإسلام هو احترام قانون السببية؛ لأن الله تعالى لا ينصر المفرطين ولو كانوا مؤمنين، بل ينتقم من المقصرين المفرطين كما ينتقم من الظالمين المعتدين، "وإذا تكاسلت عن أداء ما عليك وأنت قادر، فكيف ترجو من الله أن يساعدك وأنت لم تساعد نفسك"[(19)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#19). كيف ينتظر المرء من الله أن يقدم له كل شيء وهو لم يقدم له شيئًا؟!

وليس معنى الأخذ بالأسباب الاعتماد عليها، بل الطريقة المثلى في التصور الإسلامي أن يقوم المسلم بالأسباب كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل على الله كأنه لم يقدم لنفسه سببًا، ولا أحكم خطة، ولا سد ثغرة.

وهذا هو الفرق بين موقف المؤمن والكافر من الأخذ بالأسباب؛ فالمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها ولا يعتقد أنها هي التي تفعل أو تترك، بل يؤمن أن الأمور بيد الله، وأن النتائج تتم بقدرة الله، وأن شيئًا لا قيام له إلا بالله.

بينما يعتقد الكافر -إن جاز أن تكون له عقيدة- أن الأسباب هي الفاعلة والمعوَّل عليها، ولا علاقة لها بالتوفيق الأعلى.

إذن فالإسلام يحترم قانون الأخذ بالأسباب، غير أن المسلمين لم يكونوا على مستوى دينهم مع هذا القانون، يقول الشيخ في ذلك متحسرًا: "ومع حرص الإسلام على قانون السببية، وتنفيذ النبي -صلى الله عليه وسلم- له بدقة؛ فأنا لا أعرف أمة استهانت بقانون السببية وخرجت عليه وعبثت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية"[(20)](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695077191&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout#20).

باحث دكتوراة بكلية دار العلوم بالقاهرة.

(1)  خطب الشيخ الغزالي: 4/211، دار الاعتصام. بدون تاريخ.  
(2) علل وأدوية: 14، 5دار الكتب الإسلامية. طـ ثانية . 1405هـ.  
(3) راجع آية: 218.(4) راجع آية: 195.(5) راجع الآيات: 97-99.(6) راجع الآيات: 26-30.(7) راجع الآيات: 38-40.  
(8) راجع الآيتين: 41-42.(9) راجع الآيتين: 39-40.(10) راجع آية: 10.(11) راجع آية: 14.  
(12) راجع الآيات: 8-10.  
(13) راجع: شرح الشيخ وإبرازه لمقصود كثير من الآيات في الخطب: 4/ 211-217، وعلل وأدوية: 145-150.  
(14) راجع: فقه السيرة: 182، بتعليقات الشيخ الألباني. دار الدعوة. طـ ثانية. بدون تاريخ.  
(15) راجع: ركائز الإيمان بين العقل والقلب: 95-100 دار الاعتصام. بدون تاريخ.  
(16) تأملات في الدين والحياة: 107ـ 108، دار الدعوة. طـ أولى. 1410هـ.  
(17) فقه السيرة: 181.  
(18) راجع مثلاً فقه السيرة: 187-188، والخطب: 2/32-33، 3/232.  
(19) علل وأدوية: 144.  
(20) راجع الخطب: 2/33. \*نقلا عن مجلة الوعي الإسلامي، العدد 449 بتصرف